وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ

اســـم الكتـــاب :

وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَةٌ

مُقَدِّمَة

﴿ وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ [الشورى: ٦٣].

مهما أعجبك من نعيم الدنيا، وتزاحمت أمامك لذَّاتها ومغرياتها، فاعلم أن نعيم الآخرة خيرٌ وأبقى؛ لا يفنى ولا يزول، ولا يعتريه نقصان. فلا تجعل من زينةٍ زائلةٍ حجابًا بينك وبين النعيم الأبدي، ولا تُلهِكَ لذَّات الفناء عن سعادة البقاء. ففي هذه الحياة، نحن عابرو سبيل، والدار الباقية هي المقصد والغاية. فمن الحكمة أن نُحسن الزاد، ونُقبل على ما يُرضي الله، رجاء جنَّته ورضوانه.

عناصر الموضوع

عناصر الموضوع

١ الخير الحقيقي... ما يبقى عند الله.

٢ اغتنم ما يفنى... لبلوغ ما يبقى.

٣ خير الآخرة... لقلوب آمنت وتوكَّلت.

٤ تؤثرون العاجل... وتنسون الباقي.

٥ الباقيات الصالحات... خيرٌ ثوابًا وخيرٌ أملًا.

٦ الدنيا قطرة في بحر الآخرة.

٧ رزق القلوب.. أعظم الأرزاق.

٨ الإيمان بالغيب... حياة القلب واستعداده للقاء الله.

٩ لا تنظر إلى الخير المؤقَّت.

في زحمة الحياة وتقلُّبات الأيام، قد يبهت القلب وتغشاه الغفلة، وقد ينشغل الإنسان بما حوله حتى ينسى ما هو الأهم، بل ما خُلق من أجله. لكنَّ الله بلطفه ورحمته، لا يترك عبده يتيه طويلاً. فيُرسل له من الأحداث ما يُوقظه، ومن الرسائل ما يُعيده، ومن اللطف الخفيِّ ما يُلين قلبه؛ لأن الله يريد قلبك... يريدك أن تعود، أن تتذكر، أن تُبصر الطريق من جديد. ﴿ **وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى** ﴾ [الشورى: ٣٦].

فما عنده هو الخير الحقيقي، الدائم، الباقي. أما الدنيا، فمهما راقت للنفس، فإنها ظلٌّ زائل، وسراب خادع. فما الخير الحقيقي؟ هو ما يُرضي الله، ويُحيي القلب، ويُثمر في الآخرة. هو ما يبقى، حين لا يبقى سواه.

﴿ **فَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ** ﴾ [الشورى: ٣٦].

كل ما نحمله في قلوبنا من طموحات وأمنيات وأحلام، نراه في نظرنا خيرًا، ونسعى جاهدين لتحقيقه لأنه في ظنِّنا يوافق مصلحتنا ويكمل سعادتنا. نعتقد أن تمام الخير هو أن نحصل على ما نريده.

لكـن اللـه عـز وجـل يُعلِّمنـا أن مـا نـراه خـيرًا قـد لا يكـون كذلـك في علمـه سـبحانه، حتـى وإن كان فيـه خـير مـن وجـهٍ، فليـس كل خـيرٍ نظنـه نافعًـا هـو في حقيقتـه كذلـك. فكـم مـن أمـرٍ تمنينـاه، ولـو تحقـق لـكان فيـه ضرر لم نُدركـه، أو فتنـة لا نحتملهـا.

فالثقـة في تدبـير اللـه تعنـي أن نسـلم لـه، ونـرضى بمـا يختـاره لنـا، لأن علمـه محيـط، وحكمتـه بالغـة، ورحمتـه تسـبق رغباتنـا. وقـد بـيَّن اللـه تعـالى أن كل مـا في هـذه الدنيـا ليـس إلا متاعًـا، أي متعـة مؤقتـة، قصـيرة الأجـل، لا تـدوم. حتـى شـبابك، وصحتـك، وسـعة رزقـك، وانبسـاط حالـك... كلُّهـا أمـور عابـرة، لا تلبـث أن تـزول. هـي لحظـات تمـرُّ، ثـم تنقـضي، فـلا يغـترُّ بهـا العاقـل، ولا يجعلهـا غايـة، لأنهـا قليلـة، زائلـة، مؤقتـة.

٢ اغتنـم ما يفنـى... لبلـوغ ما يبقـى:

لذلـك قـال النبـي صـلي اللـه عليـه وسـلم: **«اغْتَنِـمْ خَمْسًـا قبـلَ خَمْسٍ : شَـبابَكَ قبـلَ هَرَمِـك ، وصِحَّتَـكَ قبـلَ سَـقَمِكَ ، وغِنـاكَ قبـلَ فَقْـرِكَ ، وفَرَاغَـكَ قبـلَ شُـغْلِكَ ، وحَياتَـكَ قبـلَ مَوْتِـكَ» .**

عبداللـه بـن عبـاس | المحـدث : المنـذري | المصـدر : الترغيـب والترهيـب | الصفحـة أو الرقم : ٢٠٣/٤.

شرح الحديث :

أولا : لماذا نُغتنم ما هو بين أيدينا من خير؟

لأنه ليس باقيًا إلى الأبد، فهذه الدنيا زائلة، وكل ما فيها مؤقت. قد تراه خيرًا، وقد يكون متاحًا اليوم، لكن كلمة «اغتنم» تعني أن الفرصة لن تدوم، وأن هذا الخير سيزول عاجلاً أو آجلاً. وقد قال الله تعالى: ﴿ فَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ ﴾ [الشورى: ٣٦]. أيُّ شيء مهما عَظُم في أعينكم، من ملك، أو جاه، أو رئاسة، أو أموال، أو صحة، أو عافية... فكل ذلك - مع عظمه - سماه الله متاعًا. أي: شيء يُنتفع به لفترة مؤقتة، ثم ينتهي.

ثانيًا : أحيانًا تكون اللذة في الدنيا مصحوبة بمنغصات

فقد تجد لذة في الذرية، لكن معها تعب وهمٌّ، ولذة في المال، ومعه خوف أو خسارة، وتجارة رابحة، لكن يحيطها القلق والمنافسة، وأمور كثيرة قد تُبهجك من وجه وتؤلمك من آخر. فهل هذه اللذة تامة؟ هل هي خيرٌ خالص؟ الجواب: لا. لأنها منقوصة، ومنقطعة. فتوقف هنا واسأل نفسك: هل تريد خيرًا ينتهي؟ هل تطلب شيئًا تعلم أنه سيفنى؟ حتى لو دام معك إلى آخر عمرك، فحين تخرج الروح، ينقطع كل شيء. الخير الحقيقي هو ما لا ينقطع. وما في الدنيا، وإن كان فيه خير، فخيريته محدودة بالزمن. لكن الله قال: ﴿ وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ [الشورى: ٣٦].

الشاهد هنا:

أن ما عند الله من ثواب، وأجر، وجزاء، ونعيم مقيم هو خير بلا منغصات، وهو أبقى لا ينتهي، لا في عمر ولا في موت. وما عند الله... متى يُنال؟ يُنال بالصبر، بالطاعة، بالرضا، بالعمل، وبالنية الخالصة. ﴿ وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ [الشورى: ٣٦]. فلا تُفتنك لذة مؤقتة عن نعيم لا ينفد.

إذا نُظِر إلى خير الدنيا بكامل زينتها: مال وفير، جاه عظيم، شهرة واسعة، رفاهية لا تنتهي؛ فكل هذا، مهما بلغ، زائل؛ لأن ما عند الله، كما قال سبحانه: ﴿ وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ [الشورى: ٣٦]. فهو نعيم لا منغص فيه، لا كدر، ولا انتقال، لا تعب بعده، ولا نهاية له.

القرآن الكريم - تفسير الشيخ السعدي - سورة الشورى آية (٣٦).

أما نحن في هذه الحياة، فنحن مؤقتون: أعمارنا محدودة، وحتى ابتلاءاتنا مؤقتة، المرض، الألم، الكسر، الحزن... كلها إلى زوال. والمشكلة ليست في وجود الشدة، بل في أن نغفل عن أنها لا تدوم. لكن إن نظرت إلى الدنيا كلها، بعمرها ونعيمها وآلامها، ثم تذكّرت أنها زائلة، وأن الآخرة هي الباقية، عندها فقط تدرك أن النعيم الحقيقي ليس هنا. فالنعيم الحقيقي هو ما لا ينقص ولا يكدر، هو النعيم الذي لا يفنى، هو ما عند الله في الآخرة. فلا تغترَّ بما لا يبقى، وتغفل عما لا يزول.

قال تعالى : ﴿ لِلذِين امَنوا وَعلىٰ رَبهِمَ يَتوَكلون﴾ [الشورى: ٣٦].

اختصَّ الله هذا الوصف بـ «الذين آمنوا»، لأنهم وحدهم من يدركون هذه القاعدة العظيمة: أن الله هو المدبِّر، وأن ما عنده خير وأبقى، وأن التوكل عليه هو طريق الطمأنينة والنجاة.

وصفهم بأنهم أمنوا : لأنهم آمنوا بالغيب، آمنوا بالحقائق التي لا تُرى، آمنوا بما وعد الله به، وبما عنده من أجر ونعيم، فمن آمن بالغيب، وثق بربه، وتوكل عليه؛ ذاك هو المؤمن الذي يسير مطمئنًا، ولو ضاقت به الأسباب. كما قال تعالى: ﴿الٓمٓ (١) ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَ فِيهِ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ (٢) ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾. [البقرة: ١-٢]. ثم وصفهم بأنهم يتوكلون: ﴿ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴾، فـ التوكل هو آلة السير في الطريق إلى الله، وهو روح العمل، فلا يكتمل عملٌ إلا إذا صاحبه توكل صادق.

القرآن الكريم - تفسير الشيخ السعدي - سورة الشورى آية (٣٦) .

والتوكل الحق هو: أن يعتمد القلب على الله في جلب ما يحب، ودفع ما يكره، مع الثقة التامة بأن الله لا يخذل من توكل عليه، وأن الأمور كلها بيده، يُقدِّرها بحكمة ورحمة.

في خضمِّ الحياة، تتسابق الرغبات، وتضجُّ الأمنيات، وتتعلَّق القلوب بما هو قريب ومرئيٌّ. فالنفس البشرية بطبيعتها عجولة، تؤثر العاجل، وتبحث عن النتائج الفورية، وتُفتن بزينة الحياة الدنيا، وكأنها كلُّ شيء. لكنها كثيرًا ما تنسى، أو تتناسى، أن ما عند الله خيرٌ وأبقى. وقد نبَّهنا القرآن الكريم إلى هذه الحقيقة في كلمات بليغة قال فيها الله تعالى: ﴿ **بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى** ﴾ [الأعلى: ١٦-١٧].

﴿ **بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا** ﴾ أي: تُقدّمون نعيم الدنيا الزائل، وتختارونه على نعيم الآخرة، رغم أنه نعيمٌ منغّص، مكدّر، لا يدوم. ﴿ **وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى** ﴾ فهي خيرٌ في حقيقتها، وأبقى في مُدَّتها، لا يشوبها نقص، ولا يقطعها فناء.

القرآن الكريم - تفسير الشيخ السعدي - سورة الأعلى -آية (١٧-١٦)

طبيعة النفس البشرية...

النفس بطبيعتها ميَّالة للعاجل: تريد النعيم الآن. تريد أن ترى الحلول فورًا. تقول: «أنا صبرت.. فمتى الفرج؟» . تتمنى عودة شيء، أو صلاح شخص، أو تحقق رغبة.. بسرعة! لكن هذه النفس لا تُدرك أن العاقبة خير، وأن التأخير قد يكون من تمام اللطف.

النفس والعاجل:

• النفس تهتم بما تراه وتلمسه. وتنصرف عن الغيب الذي وعد الله به الصابرين؛ لذلك قال تعالى توبيخًا لطبيعة الإنسان: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ ولكن ﴿الآخرة خيرٌ وأبقى﴾. فأيُّ تفضيلٍ هذا الذي قدَّم الزائل على الباقي؟ وأيُّ غفلةٍ تجعل من نعيم الدنيا المحدود أملًا، وتُعرض عن نعيم الآخرة الخالد؟

إنه اختبار الإيمان والصبر واليقين... اختبارٌ لنفوس تتوق، ولكنها لا تُدرك أن تأخير الإجابة قد يكون عين اللطف، وأن ما ينتظرها في الآخرة أعظم من كل أمنيات الدنيا.

٥ الباقيات الصالحات ... خيرٌ ثوابًا وخيرٌ أملًا:

في حياةٍ تتقلب بين الزيادة والنقص، وبين الفرح والحزن، يبقى الإنسان متعلِّقًا بما يراه زينةً ونعيمًا: مالٌ يُحصِّله، وأبناءٌ يفرح بهم، ومظاهر تُغريه. لكن هذه كلها - وإن بدت ثمينة - فهي زائلة، تنتهي بانتهاء الأجل، وتُدفن مع صاحبها في تراب الدنيا.

لذلك، يلفتنا القرآن الكريم إلى ما هو أثمن وأبقى، إلى ما يتجاوز حدود الزمن، ويثمر في الدنيا والآخرة، بقوله تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف: ٤٦].

* المال والبنون زينةٌ مؤقتة، متعة زائلة، تنتهي بانتهاء الدنيا. أما الباقيات الصالحات، فهي التي تبقى، وتنفع، وتُرجى عند الله.

* ما الباقيات الصالحات؟

• التسبيح • التحميد • التهليل • التكبير

ويشمل هذا:

- كل الطاعات: من صلاة، وزكاة، وصدقة، وحج، وعمرة، وقراءة القرآن، وطلب العلم.
- العبادات القلبية: مثل الإخلاص، التوكل، حب الله، تعظيمه، ومجاهدة النفس ووساوس الشيطان.
- الحقوق والبر: كصلة الرحم، وبر الوالدين، الإحسان للزوجات، والرفق بالحيوان، وكل وجوه الإحسان إلى الخلق.

لماذا هي «خير ثوابًا وخير أملًا»؟

- لأن ثوابها باقٍ لا ينقطع.
- ينفعك في الدنيا والآخرة.
- تُرجى عند الحاجة والضعف.
- وهي الزَّاد الحقيقي الذي يبقى معك إلى ما بعد الموت.

يقول الشيخ السعدي في تفسيره :

فهذه الباقيات الصالحات خير عند الله ثوابًا وخير أملًا، فثوابها يبقى، ويتضاعف، ويؤمل أجرها وبرها ونفعها عند الحاجة، فهذه التي ينبغي أن يتنافس بها المتنافسون، ويستبق إليها العاملون، ويَجِدُّ في تحصيلها المجتهدون، وتأمل كيف لما ضرب الله مثل الدنيا وحالها واضمحلالها ذكر أن الذي فيها نوعان: نوع من زينتها، يتمتع به قليلًا، ثم يزول بلا فائدة تعود لصاحبه، بل ربما لحقته مضرته وهو المال والبنون، ونوع يبقى وينفع صاحبه على الدوام، وهي الباقيات الصالحات.

القرآن الكريم - تفسير الشيخ السعدي - سورة الكهف - آية ٤٦

*** كيف أعرف أن عملي من «الباقيات الصالحات»؟**

كل ما يبقى أثره بعد الموت، ويُكتب لك أجره عند الله، فهو من الباقيات الصالحات.

- كل ما تفعله خالصًا لله،
- كل ما تعلم أنه يؤجر عليه،
- كل معروفٍ تبذله، ولو لم ترَ أثره في الدنيا،

فهو عند الله محفوظ، لا يُنسى ولا يُهمل. قال تعالى : ﴿ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَفِيظٞ ﴾ [هود: ٥٧].

الله عز وجل يمتدح هذه الأعمال، ويوجّه القلوب إليها، لأنها:

- خير: أي أفضل من متاع الدنيا،
- وأبقى: أي لا تزول ولا تنتهي،
- وأدوم: فلا تنقطع بالموت أو بزوال النعم.
- «الباقيات الصالحات».

إنها أعمال البرِّ، وذكر الله، والطاعات الخفية والعلنية... إنها كل ما يبقى حين يفنى كل شيء. هي الأمل الحقيقي، والثواب الأبقى.

في زمنٍ كثرت فيه الفتن، وتزاحمت فيه مشاغل الدنيا، وتعلَّقت القلوب بما يفنى ويزول، يأتي كلام النبي صلى الله عليه وسلم كنبراسٍ يوقظ الغافل، وينير الطريق لمن أراد النجاة والخلود. في كلماتٍ قليلة، يُجلي لنا الحبيب المصطفى ﷺ صورة الدنيا في مقابل الآخرة، ويضعها في ميزان الحقيقة.

يقول النبي صلى الله عليه وسلم: **«واللَّهِ ما الدُّنْيا في الآخِرَةِ إلَّا مِثْلُ ما يَجْعَلُ أحَدُكُمْ إصْبَعَهُ هذِه -وأَشارَ يَحْيَى بالسَّبَّابَةِ- في اليَمِّ، فَلْيَنْظُرْ بمَ تَرْجِعُ؟».**

الراوي : المستورد بن شداد | المحدث : مسلم | المصدر : صحيح مسلم

الصفحة أو الرقم: ٢٨٥٨ | خلاصة حكم المحدث : [صحيح]

ما الدنيا في الآخرة إلا كقطرة من بحر:

- الدُّنيا هيِّنةٌ عِندَ اللهِ عزَّ وجلَّ وضَئيلةٌ، ولا تَعدِلُ عندَ اللهِ تعالَى مِثقالَ ذرَّةٍ ولا تُساوِي شَيئًا، فهيَ دارُ عَملٍ واختِبارٍ، وَليستْ عُمرَ الإنسانِ الحَقيقيَّ، فذاك في الآخرَةِ.
- يقسم النبي ﷺ للتأكيد والتقريب للعقول، أن الدنيا كلها بما فيها من مالٍ، وجاهٍ، وملكٍ، وشهواتٍ، ليست في الآخرة إلا كنقطة ماء يبلل بها أحدنا إصبعه إذا غمسه في البحر!
- أنَّ مَثَلَ الدُّنيا بالنِّسبةِ للآخرَةِ، والنَّظرِ إليها؛ مَثَلُ ما يَضَعُ أَحدُ النَّاس إِصبعَه في البَحرِ، فلْيَنْظرِ الَّذي تَعلَّقَ في يَدِه مِن مائِه؛ فإنَّه لا يَعلَقُ بإصبَعِه كثيرُ شيءٍ منَ الماءِ،
- ما الدنيا في قِصرها، وزوال لذَّاتها، وسرعة فنائها إلا كنقطة ماء في بحر لا ساحل له،
- أما الآخرة فهي البحر العظيم، الواسع، الباقي، الأبدي.

* المقصود من الحديث:

- الدنيا لا تساوي شيئًا بجانب ما أعدَّه الله في الآخرة.
- هي دار عمل واختبار، لا دار بقاء وقرار.
- ليست العمر الحقيقي للإنسان، بل عمره الأبدي في الآخرة.

حتى هذا التشبيه (بالنقطة من البحر) هو فقط للتقريب إلى

العقول؛ لأن الآخرة أعظم من أن تُقارن بأي شيء محدود، فالبحر مهما اتسع فهو متناهٍ، أما نعيم الآخرة فباقٍ لا ينقطع، لا آخر له، ولا حدود.

تفسير الحديث- موقع الدرر السنية - شرح حديث **«واللَّهِ ما الدُّنْيا في الآخِرَةِ إلَّا مِثْلُ ما يَجْعَلُ أحَدُكُمْ إصْبَعَهُ هذِه...»**.

فهل نُؤثِر الزائل على الباقي؟ وهل نغفل عن الأبد لأجل ساعة؟ قال تعالى: ﴿ **وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى** ﴾ [الأعلى: ١٧].

الدنيا قطرة... والآخرة بحر. تخيل أن الآخرة كبحرٍ عظيمٍ، بحرٌ لا يُعرَف له مدى ولا عمق، ومهما بلغ بصرك، ومهما حاولت أن تنظر في الأفق، فلن ترى له نهاية.

وفي المقابل ... الدنيا كلها، من أولها إلى آخرها، وبكل ما فيها من حياة، وأحداث، وأمم، وقصص، وممالك... هي مجرد قطرة واحدة تُؤخذ من هذا البحر!

بل أنت نفسك، ليست القَطرة كلها لك ، أنت مجرد جزء من هذه القطرة، جزء صغير فيها... هذه القطرة هي الدنيا، ومنها عمرك، شبابك، صحتك، أموالك، عملك، همومك، سعادتك، أحزانك، ابتلاءاتك، تفكيرك... كل الدنيا في قطرة واحدة. فهل تستحق هذه القطرة أن نؤثرها على ذلك البحر العظيم؟ هل تستحق أن ننسى الآخرة لأجل طموحات نُطاردها، وأمانٍ قد لا تتحقق أبدًا؟ نُضيع أعمارنا ونحن نقول: أريد مالًا أكثر... أريد زوجًا أو ابنًا أو ابنةً

على هيئة كذا... أريد طموحي أن يتحقق... أريد... وأريد... وربما ينتهي العمر... ولم نصل إلى شيء. فيا ترى... على ماذا طال أمَلُنا؟ وإلى ماذا نتعلَّق؟ هل نُطيل الأمل في شيء لا يتجاوز حدوده «قطرة»؟ أم نسعى لما هو خيرٌ وأبقى؟ ﴿ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ [الأعلى: ١٧].

حقيقة لا بد أن تستقر في قلب كل عاقل .. حقيقة يجب أن يستحضرها المؤمن العاقل على الدوام: أن كل ما في هذه الحياة الدنيا من متاعٍ ونعيمٍ وزينةٍ، ليس إلا متاعًا زائلًا، مؤقتًا، منقطعًا...

من آمن بوعد الله، وصدَّق بخبره، وسلَّم لحكمته، وتوكل ثم أخذ بالأسباب، وسعى في دنياه بما يرضي الله، وخرج منها بقلب سليم، وإيمان راسخ... فقد حصل على أعظم خير يمكن أن يُنال.

ليس الخير أن تأخذ من الدنيا أكبر نصيب، بل الخير الحقيقي أن تغادرها وقد نلت أعظم ما أُعدَّ في الآخرة. ذاك هو الفوز العظيم، والنعيم المقيم، والبقاء الذي لا يزول؛ قال تعالى: ﴿ أَفَمَن وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴾ [القصص: ٦١].

أي: هل يستوي مؤمن ساع للآخرة سعيها، قد عمل على وعد ربه له، بالثواب الحسن، الذي هو الجنة، وما فيها من النعيم العظيم، فهو لاقيه من غير شك ولا ارتياب، لأنه وعد من كريم صادق الوعد، لا يخلف الميعاد، لعبد قام بمرضاته وجَانَبَ سخطه،

﴿ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ فهو يأخذ فيها ويعطي، ويأكل ويشرب، ويتمتع كما تتمتع البهائم، قد اشتغل بدنياه عن آخرته، ولم يرفع بهدى الله رأسًا، ولم يَنْقَدْ للمرسلين، فهو لا يزال كذلك، لا يتزود من دنياه إلا الخسار والهلاك.

﴿ ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴾ للحساب، وقد علم أنه لم يقدم خيرًا لنفسه، وإنما قدم جميع ما يضره، وانتقل إلى دار الجزاء بالأعمال، فما ظنكم إلى ما يصير إليه؟ وما تحسبون ما يُصنع به؟ فليختر العاقل لنفسه، ما هو أولى بالاختيار، وأحق الأمرين بالإيثار.

القرآن الكريم - تفسير الشيخ السعدي - سورة القصص - آية ٦١ .

هل يستويان؟! هل يستوي من جعل بصره على الوعد الحق، وانتظر لقاءه، مع من غرق في لذَّات الدنيا ورضي بها عوضًا عن الآخرة؟ لا والله، لا يستوون!

- تسبيحة واحدة، تُقال بإخلاص، خيرٌ من دارٍ فخمةٍ، وأوسع من أرضٍ تملكها، وأبقى من زوج وولد!
- صلاة تدركها من أولها في جماعة، خيرٌ من مطعم فاخر، ومركب مريح، ومشرب بارد!
- آية واحدة تتعلمها من كتاب الله، خيرٌ من ألف بستان وبحيرة وجمال مناظر الدنيا...

هكـذا يقيـس المؤمـن الأمـور بعـين البصـيرة، لا ببهـرج الزائـل مـن متـاع الدنيـا.

موقـع ملتقـى الخطبـاء - الخطيـب عبدالملـك البحـري -مـن خطبـة (والآخـرة خـير وأبقـى).

ليـس كل رزق هـو مـال يُعـد، أو بيـت يُمتلـك، أو عقـار يُـورَّث... فـكل هـذه مهـما كـثرت، سـيأتي يـوم ويُـترك، وسـيتقاطع الأولاد مـن أجـل تقسـيمه، وسـيذهب النـاس... ونذهـب.

أمَّـا الـرزق الحقيقـي؛ فهـو مـا يزرعـه اللـه في قلبـك مـن رغبـة في الطاعـة، وحـرص عـلى القـرب منـه، وشـوق إلى مناجاتـه، واطمئنـان في ذكـره... ذلـك رزقٌ خـاصٌ، شريـفٌ، رفيـعٌ، لا يُقـارن بعقـارات أو أرصـدة، ولا يُشـترى ولا يُـورَّث.

الـرزق العـالي هـو أن يقـذف اللـه في قلبـك نـورًا، فيقربـك إليـه، ويجعلـك مـن أهـل ولايتـه، يتـولاك، ويكفيـك، ويصبـح هـو حسـبك إن خذلـك النـاس، وسـندك إن ضاقـت بـك الدنيـا. حتـى أكلـك، وشربـك، وصحتـك، بـل حتـى مشـاعرك... يعتنـي اللـه بهـا إن كنـت مـن أهـل هـذا الـرزق. فاسـألِ اللـه ألَّا يحرمَـك رزق القلـوب، فهـو الـذي يجمـع لـك خـيري الدنيـا والآخـرة.

* الرزق الخاص... رزق القلوب والعقول

ذلك الرزق العظيم، حين يهبك الله نعمة الفهم، ويمدُّ قلبك بعلمٍ نافعٍ، ويعلِّق روحك به وحده، لا شريك له... فهذا رزق خاص، لا يُمنح لأيِّ أحد.

رزقك أن تعرف الله، وتحبُّه، وتتوكَّل عليه، وتطلبه في السراء والضراء، فتكون قد كسبت الدنيا والآخرة. فمن كان مع الله... كسب كل شيء، وإن لم يملك شيئًا. ومن أعرض عن الله... خسر كل شيء، ولو ظنَّ أنه يملك كل شيء.

هذا هو الرزق الحقيقي: أن يرزقك الله قلبًا يعرفه، وعقلاً يفقهه، ونفسًا تسجد له راضية. كل شيء عند الله بميزان؛ لأنه سبحانه منبع العدل والخير، فقد وضع الموازين بالقسط، يُحاسَب الإنسان على مثقال ذرَّة... من حسنة، ومن سيئة.

وفي رمضان، الموازين تتغيَّر، الأجور تُضاعف، والأبواب تُفتح، والوعود الربانية تُنتظر... وكل لحظة فيه فرصة، وكل ساعة تحمل وعدًا، وكل ليلة قد تكون فتحًا من الله.

لكن حين نقرأ هذه الوعود في القرآن، قد يتبادر لأذهاننا: الصحابة، أو أهل العلم، أو الرجل الصالح العابد ، أو فلان وفلان... وننسى أنفسنا. نضع بيننا وبين الجنة حاجزًا وهميًا، صوَّره لنا الشيطان، ليُقنعنا أن الجنة «ليست لنا»، أنها بعيدة المنال، وأننا لسنا من أهلها... بينما الله ينادي: ﴿ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾ [المطففين: ٢٦].

أي: ليتسابقوا في المبادرة إليه بالأعمال الموصلة إليه، فهذا أولى ما بذلت فيه نفائس الأنفاس، وأحرى ما تزاحمت للوصول إليه فحول الرجال.

القرآن الكريم - تفسير الشيخ السعدي - سورة المطففين - آية ٢٦.

ينتظر من عباده فقط الإقبال.

٨ الإيمان بالغيب ... حياة القلب واستعداده للقاء الله:

في مطلع أعظم سورة في القرآن، سورة البقرة، وفي أول وصفٍ لأهل الإيمان، امتدحهم الله فقال: ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ ﴾ [البقرة: ٣].

حقيقة الإيمان: هو التصديق التام بما أخبرت به الرسل، المتضمن لانقياد الجوارح، وليس الشأن في الإيمان بالأشياء المشاهدة بالحس؛ فإنه لا يتميز بها المسلم من الكافر. إنما الشأن في الإيمان بالغيب، الذي لم نره ولم نشاهده، وإنما نؤمن به، لخبر الله وخبر رسوله. فهذا الإيمان الذي يميز به المسلم من الكافر؛ لأنه تصديق مجرد لله ورسله. فالمؤمن يؤمن بكل ما أخبر الله به، أو أخبر به رسوله، سواء شاهده، أو لم يشاهده، وسواء فهمه وعقله، أو لم يهتدِ إليه عقله وفهمه.

القرآن الكريم - تفسير الشيخ السعدي - سورة البقرة - آية ٣.

لأن الإيمان بالغيب هو الذي يوقظ القلب، ويحرِّكه نحو العمل والعبادة، هو الذي يُبقي جذوة اليقين مشتعلة، في زمن كَثُر فيه التشكيك، وضعف فيه الاستعداد. ولهذا بالذات، يعمل الشيطان على هذا الجانب ليل نهار، ليُميت الشعور بالآخرة، ويُطفئ نور الإيمان بالغيب، حتى لا يفكِّر المؤمن في مقعده الأبدي، في جنَّة عرضها السماوات والأرض.

نتأمَّل في بيوتٍ كنَّا نمر بها صغارًا، نقول: «الله، هذا بيت فلان... هنا عشنا، هنا فرحنا، هنا بكينا». لكن أين أصحابها اليوم؟ ذهبوا، وخُلِّيَ المكان... الكل سيذهب . ولك أنت أن تسأل: وأين مَقعدي أنا؟ أين منزلي في الجنة؟ هل أعددتُ له شيئًا؟

إذا وعى الإنسان حق الله عليه، وحق نفسه عليه، بدأ يستعد. ليس المطلوب أن نتجرَّد من الدنيا، ولا أن نغفل عن واجباتها، بل أن نعيشها بقلوبٍ عمرت بالله، قلوب لا تشغلها الدنيا عن الآخرة، بل تُحوَّل كل لحظة فيها إلى عبادة ومناجاة. وحين يزدحم القلب بالآخرة، يصبح للدنيا حجمها الطبيعي، وتتحول الانشغالات إلى قُرُبات، وكل لحظة ضيق تصبح فرصة قرب وعبودية .

قد ترى نعيمًا عاجلًا، لكنه زائل. قد ترى أثر عملك محدودًا، لكنه عند الله عظيم محفوظ. فالقلوب المؤمنة تتفاوت في هذا الفهم، بحسب:

- اليقين بأن ما عند الله خيرٌ وأبقى،
- والتصديق بأن الثواب عند الله لا يضيع، ولو كان العمل صغيرًا.

اجعل همك في ما يبقى، لا في ما يزول. واحرص على العمل الذي يُثمر لك عند الله، لا فقط عند الناس. قال تعالى: ﴿ **وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ** ﴾ [البقرة: ١١٠]. تدرك أن كل لحظة خير، كل صدقة، كل دعوة، كل نظرة رحمة، كل معروف تُقدِّمه... لا يضيع، بل يُدَّخر، ويُهيَّأ لك جزاؤه في مكان أعظم، عند من لا يُضيع الأجر، عند الله جل جلاله.

الآية تذكير رباني أن الخير الذي تزرعه هنا، ستجنيه هناك... في يوم لا ينفع مال ولا بنون. فكأنها دعوة لأن نجعل لأنفسنا رصيدًا في الآخرة، رصيدًا لا ينقص، بل يُضاعف: «قدِّم لنفسك، لن تندم».

المراجـــع :

- القرآن الكريم - تفسير الشيخ السعدي - سورة البقرة - آية ٣.
- القرآن الكريم - تفسير الشيخ السعدي - سورة الكهف - آية ٤٦.
- القرآن الكريم - تفسير الشيخ السعدي - سورة القصص - آية ٦١ .
- القرآن الكريم - تفسير الشيخ السعدي - سورة الشورى آية (٣٦).
- القرآن الكريم - تفسير الشيخ السعدي - سورة المطففين - آية ٢٦.
- القرآن الكريم - تفسير الشيخ السعدي - سورة الأعلى -آية (١٧-١٦).
- تفسير الحديث- موقع الدرر السنية - شرح حديث: «واللَّهِ ما الدُّنْيا في الآخِرَةِ إلَّا مِثْلُ ما يَجْعَلُ أحَدُكُمْ إصْبَعَهُ هذِه...».
- والآخرة خير وأبقى - عبد الملك البحري.

وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ